الحشر

أ.د. محيي الدين الصافي
عميد الكلية

أرضه - سماؤه - كيفيته - الموقف العظيم - الشفاعة العظمى

الحشر فى اللغة : الجمع . جاء فى مختار الصحاح : حشر الناس جمعهم من باب ضرب ونصر ومنه يوم الحشر ، ومنه قوله تعالى : « وأرسل فى فى المدائن حاشرين » أى جامعين يجمعون السحرة وهم الشرط .

أما فى اصطلاح علماء التوحيد : فالحشر عبارة عن سوق الخلائق بعد بعثهم ونشرهم أحياء من قبورهم وجمعهم فى أرض المحشر للعرض والحساب وفصل القضاء .

ثم يساقون بعد ذلك إلى دار الجزاء وهى إما الجنة وإما النار .

والحشر أربعة أنواع : حشران فى الدنيا وحشران فى الآخرة ، أما الحشران اللذان فى الدنيا :

فأحدهما : حشر اليهود من بنى النضير من المدينة إلى أرض الشام . قال تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » .

والثانى : الحشر المذكور فى أشراط الساعة فى الحديث الذى أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد قال رسول الله ﷺ « إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات منها نار تخرج قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس إلى أرض المحشر »

أما الحشران اللذان فى الآخرة فالأول منهما وهو الثالث من أنواع الحشر فهو الحشر الذى نتكلم فيه وهو موضوع البحث وهو حشر الناس بعد بعثهم من القبور إلى أرض المحشر للحساب والثانى منهما وهو النوع الرابع من أنواع الحشر سوق الناس من أرض المحشر بعد الحساب إما إلى الجنة وإما إلى النار .

قال اللقانى فى شرح جوهرة التوحيد « وأنواع الحشر أربعة : اثنان فى الدنيا : أحدهما : إجلاؤه عليه السلام اليهود . وثانيهما : سوق النار الناس قرب قيام الساعة إلى المحشر . واثنان فى الآخرة : أحدهما جمعهم إلى الموقف بعد إحيائهم . والثانى : صرفهم من الموقف إلى الجنة أو النار .

والحشر من الأمور السمعية التى يجب الإيمان بها وهى الحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار فهذه أمور سمعية لا يعرفها العقل إلا من الرسول ﷺ فيتلقاها الإنسان بالقبول ويؤمن بها كما أخبر بها الرسول بعد النظر فى معجزته ومعرفة أنها خارقة للعادة لا يستطيع أن يفعلها بشر وأنها من فعل الله تعالى لتأييد الرسول فى كونه يخبر عن الله تعالى ، فهو صادق فى كل ما أخبر به ومنها الأمور السمعية فينظر العقل فيها فيعلم أنها أمور ممكنة فى نفسها أخبر بها الصادق عن الله تعالى :

فتكون حقا ، والإيمان بها واجب ، ومنكرها كافر ، لأنها ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع .

قال فى المقاصد « السمعيات الأمور المتعلقة بأمر المعاد ، وجملة الأمر أنها أمور ممكنة نطق بها الكتاب والسنة وانعقد عليها إجماع الأمة ، فيكون القول بها حقا والتصديق بها واجبا »(١)

وقال الشيخ محمد بخيت : « ومما يجب اعتقاده حشر الأجساد . وهو

(١) المقاصد لسعد الدين التفتازانى ج ٢ ص ٢٢٢

سوقها الى الموقف بعد بعثهم من قبورهم وذلك لإجماع الملل الثلاث المسلمين والنصارى واليهود ولنصوص القرآن فى مواضع متعددة بحيث لا تقبل التأويل .

قال تعالى : « أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه . قال من يحيى العظام وهى رميم . قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم »(١)

وقد عده الإمام البيهقى من شعب الإيمان التى يجب على كل مؤمن أن يؤمن بها والتى قال عنها الرسول ﷺ : « الإيمان بضع وثمانون شعبة ، قال فى الشعب « الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم إلى الموقف لقوله تعالى « ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين »(٢)

ولحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى صحيح مسلم « يقوم الناس لرب العالمين ، حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه .

وقال القزوينى فى شرح الشعب والحكمة فيه فضيحة للعاصى ، وإظهار فضل الطائع لأن الإكرام والإهانة بين الملأ يكون أرفع للمطيع وأحط للعاصى وبقدر درجة الاجتماع يكون الصعود والهبوط ، فكيف بهذا المشهد العظيم يجتمع فيه الأولون والآخرون .

قال تعالى : « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، ليشهد

(١) حاشية الشيخ محمد بخيت ص ٦٦ المسماة القول المفيد فى علم التوحيد

(٢) الآيات ٤ ، ٥ ، ٦ من سورة المطففين

كل امرىء عمله ولا ينفعه إلا أتباع الحق ، ولا يجديه تمسكه بغير ماأنزل الله شيئاً وهناك يحصل الإنكار والتبرى ، قال تعالى : « إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » .

ويشتد العداء بين المجرمين، وتستحكم المودة والسرور بين المؤمنين خاصة قال تعالى « الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين » أى لا عداوة بينهم(١) .

وقال حجة الإسلام الغزالى فى الإحياء « فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا ، فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها ، فإن فى طبع الآدمى إنكار مالم يأنس به ، ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالبرق الخاطف لأنكر تصور المشى ، على غير رجل »(٢).

ونحن الآن فى عصر تقدم العلم والتكنولوجيا ، فأصوات من ماتوا مسجلة على أشرطة الكاسيت والفيديو ونسمعها كأنهم أحياء ، ونرى صورهم ، والتلفزيون أرانا الأشياء البعيدة جداً فى نصف الكرة الغربى ، والأشعة أرتنا مابداخل جوف الإنسان ، بل إن أشعة الليزر تذيب الحديد من غير أن يظهر لها شعاع محسوس ، وتشفى ما فى بدن الإنسان من أمراض والإشعاع الذرى مهلك للإنسان والحيوان والنبات والجماد أيضاً ،

(١) ص ١٦ ، ١٧ مختصر شعب الإيمان للقزوينى .
(٢) الإحياء حـ ٤ ص ٤٩٧ باب الحشر .

وكل هذه الأشياء قبل مائة سنة كانت ضرباً من الخيال ، فلا يبعد أن تكون أعمالنا مسجلة بصورة ما .

كما هى مسجلة فى صحف الملائكة ، بل إن الله سبحانه وتعالى سيجعل ألسنتنا وأيدينا وأرجلنا تنطق بما فعلنا فلابد أن نصدق بهذا ،لأنه من كلام الله العزيز الحكيم الذى خلق كل شىء وعلم الإنسان مالم يعلم .

أرض الحشر

يرى بعض العلماء أن السموت والأرض ستتبدل بغيرها يوم القيامة ، وذلك اعتماداً على ظاهر الآيات والأحاديث التى يفهم من ظاهرها هذا ، منها قوله تعالى « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة إذا رجت الأرض رجا وبست الجبال بسا ، فكانت هباء منبثا » ، ومنها قوله تعالى « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعداً علينا إنا كنا فاعلين » ، ومنها قوله تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار » ، ومنها قوله ﷺ « يقبض الله تعالى الأرض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ » رواه البخارى وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، تكون الأرض يوم القيامة خبزة يتكفؤها الجبار بيده ، كما يكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة »(١) .

وروى البخارى عن سهل بن سعد قال: سمعت النبى ﷺ يقول : يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ، قال سهل أو غيره ليس فيها معلم لأحد » .

(١) رواه البخارى .

فهذه الآيات والأحاديث يدل ظاهرها على تغيير هذه الأرض التى نحن عليها الآن وتبديلها بأخرى يوم القيامة تسمى الساهرة كما ورد فى تفسير قوله تعالى « فإنما هى زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة » على أحد الأقوال .

وقد وردت آيات أخرى وأحاديث تدل على أن هذه الأرض التى نحن عليها الآن هى نفس الأرض التى سيكون عليها الحشر يوم القيامة، منها قوله تعالى : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر »(١) .

فالآية تتحدث عن فضل الله تعالى ونصرته لنبيه ﷺ على اليهود من بنى النضير ، وأن الرسول ﷺ قال لهم : أخرجوا قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر ، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام ، قال ابن عباس : من شك أن المحشر بالشام فليقرأ أول سورة الحشر »(٢).

فتفسير هذه الآية كما روى عن الرسول ﷺ يدل على أن أرض المحشر بالشام وأنها هى هذه الأرض بذاتها، وأن تبديلها سيكون تبديل صفة فقط .

يدل على هذا ماقاله فخر الدين الرازى فى تفسير قوله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار »(٣) .

أعلم أن التبديل يحتمل وجهين :

أحدهما : أن تكون الذات باقية وتتبدل صفتها بصفة أخرى .

والثانى : أن تفنى الذات الأولى وتحدث ذات أخرى والدليل على أن لفظ التبدل جائز ذكره لإرادة التغير فى الصفة أنه يقال بدلت الحلقة خاتماً إذا أذبتها ونقلت الحلقة من شكل إلى شكل ، ومنه قوله تعالى « فأولئك

(١) الآية رقم ٢ سورة الحشر .
(٢) ص ٣٤٥ حـ ٤ تفسير الخازن .
(٣) الآية ٤٨ سورة ابراهيم .

يبدل الله سيئاتهم حسنات»، ويقال بدلت قميصى جبة أى نقلت العين من صفة إلى أخرى ويقال تبدل زيد إذا تغيرت أحواله .

وأما ذكر لفظ التبدل عند التبدل فى الذوات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ، ومنه قوله تعالى « بدلناهم جلوداً غيرها » ، وإذا كان اللفظ محتملا للوجهين ففى الآية قولان :

الأول : أن المراد تبديل الصفة لا تبديل الذات ، قال ابن عباس رضى الله عنه هى تلك الأرض إلا أنها تغيرت فى صفاتها ، فتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوج ولا أمت .

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : يبدل الله الأض غير الأرض فيبسطها ويمدها الأديم العكاظى فلا ترى فيها عوجاً ولا أمتا » .

والقول الثانى : أن المراد تبديل الذات قال ابن مسعود تبدل بأرض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك عليها دم ، ولم تعمل عليها خطيئة ».

ثم قال الرازى : ومن الناس من رجح القول الأول ، لأن قوله يوم تبدل الأرض المراد هذه الأرض، والتبدل صفة مضافة إليها، وعند حصول الصفة لابد أن يكون الموصوف موجوداً فلما كان الموصوف بالتبدل هو هذه الأرض وجب كون هذه الأرض باقية عند حصول ذلك التبدل ، ولا يمكن أن تكون هذه الأرض باقية مع صفاتها عند حصول ذلك التبدل وإلا لا متنع حصول التبدل ، فوجب أن يكون الباقى هو الذات فثبت أن هذه الآية تقتضى كون الذات باقية ، والقائلون بهذا القول هم القائلون إنه عند قيام القيامة لايعدم الله تعالى الذوات والأجسام وإنما يعدم صفاتها وأحوالها»(١) ولم يذكر حجة أصحاب القول الثانى دلالة على أنه يختار هذا

(١) تفسير الفخر الرازى ص ٢٤٨ حـ ٥

القول ، وأكده فى تفسير قوله تعالى « وإذا الأرض مدت » إذ قال : فى قوله تعالى « مدت » وجهان :

الأول : أنه مأخوذ من مد الشيء فامتد وهو أن تزال جبالها بالنسف كما قال : ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً ، أى يسوى ظهرها ، كما قال : « قاعاً صفصفا لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا » وعن ابن عباس ، مدت مد الأديم العكاظى لأن الأديم إذا مدزال كل أنثناء فيه واستوى .

الثانى : أنه مأخوذ من مده بمعنى أمده أى يزاد فى سعتها يوم القيامة لوقوف الخلائق عليها للحساب ، وأعلم أنه لابد من الزيادة فى وجه الأرض سواء كان ذلك بتمديدها أو بأمدادها ، لأن خلق الأولين والآخرين لما كانوا واقفين يوم القيامة على ظهرها فلابد من الزيادة فى طولها وعرضها »(١) .

ومما يدل على أن التبديل صفة الأرض فقط ، ماذكره الحافظ ابن حجر فى فتح البارى عند تعرضه لشرح الأحاديث الموارده فى صفة الأرض يوم القيامة ، ومنها قوله عليه الصلاة والسلام « يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟ قال ابن حجر : سأقتصر هنا على مايتعلق بتبديل الأرض لمناسبة الحال ، ثم قال : هذا الحديث جاء فى الصحيح على ثلاثة ألفاظ : القبض ، والطى ، والأخذ ، فهذا تمثيل لصفة قبض هذه المخلوقات وجمعها بعد بسطها وتفرقها دلالة على المبسوط والمقبوض لا على البسط والقبض وقد يحتمل أن يكون إشارة إلى الإستيعاب ، والقدرة عليها ، لأنه تعالى يقدر على إمساك مخلوقاته على غير شيء قال تعالى : « إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وقال « رفع السموات بغير عمد ترونها » أى بقدرته « والسموات مطويات بيمينه » أى قدرته على طيها وسهولة الأمر عليه فى جمعها ، بمنزلة من جمع شيئاً فى كفه ، واستقل بحمله ، وذلك لإستحالة الجارحة عليه تعالى .

(١) تفسير الفخر الرازى حـ ٨ ص ٣٨٦

ثم قال : ونقل الطيبى عن البيضاوى أن هذا الحديث مشكل جدا ، وهو حديث « تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة » لا من جهة إنكار صنع الله وقدرته على ما يشاء ، بل لعدم التوقيف على قلب جرم الأرض من الطبع الذى عليه إلى طبع المطعوم والمأكول ، فلعل الوجه فيه أن معنى قوله خبزة واحدة من نعتها كذا وكذا ، وهو نظير ما فى حديث سهل المذكور بعده وهو « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى » فضرب المثل بها لاستدارتها وبياضها ، فضرب المثل بخبزة تشبه الأرض فى معنين :

أحدهما : بيان الهيئة التى تكون عليها الأرض يومئذ .

الثانى : بيان الخبزة التى يهيئها الله تعالى نزلاً لأهل الجنة ، فالتشبيه لا يستلزم المشاركة بين المشبه والمشبه به فى جميع الأوصاف بل يكفى حصوله فى البعض ، وتقريره : أنه شبه أرض الحشر بالخبزة فى الاستواء والبياض ، وشبه أرض الجنة فى كونها نزلا لأهلها ومهيأة لهم بعجالة الراكب زاده يقنع به فى سفره »(١) .

ثم ساق الخلاف فى تبديل الأرض والسموات فقال : « وقد وقع للسلف فى ذلك خلاف : هل تغير ذاتها وصفاتها ؟ أو تغير صفاتها فقط ، وحديث الباب يؤيد الأول ، فقد روى .

عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال : تبدل الأرض أرضا كأنها فضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة » .

وأما من ذهب إلى أن التغيير إنما يقع فى صفات الأرض دون ذاتها فمستنده ما أخرجه الحاكم عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله ﷺ

(١) فتح البارى ص ١٧٦ حـ ٢٤

« إذا كان يوم القيامة موت الأرض مد الأديم وحشر الخلائق، وما أخرجه الحاكم من حديث جابر رفعه قال : قال رسول الله ﷺ « تمد الأرض مد الأديم ثم لا يكون لابن آدم منها إلا موضع قدميه، ورجاله ثقات، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : يزاد فيها وينقص منها، ويذهب آكامها وجبالها وأوديتها »(١) .

وذكر الجمل فى حاشيته على تفسير الجلالين أن القرطبى قال « يوم تبدل الأرض غير الأرض » غير نعت لمحذوف والتقدير تبدل أرضا غير الأرض واختلف فى كيفية تبديل الأرض ، فقال كثير من الناس : إن تبديل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها ، وتسوية آكامها ، ونسف جبالها ، ومد أرضها » .

رواه ابن مسعود رضى الله عنه ، وما خرجه ابن ماجه وذكره ابن المبارك من حديث شهر بن جوشب قال : حدثنى ابن عباس قال: اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم ، وزيد فى سعتها كذا و كذا وذكر الحديث »(٢) .

فقول القرطبى : وقال كثير من الناس إن تبدل الأرض عبارة عن تبديل صفتها ، يفهم منه أن القلة هم الذين يذهبون إلى أن التبديل هـــو تبديل ذات وصفة .

وذكر الغزالى فى الإحياء أيضا عن ابن عباس قال : يزاد فيها وينقش وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها، وتمد مد الأديم العكاظى»(٣) .

ومما يدل على أن هذه الأرض هى التى سيكون عليها الحشر بعد تغيير

(١) فتح البارى حـ ٢٤ صـ ١٧٧
(٢) حاشية الجمل على الجبلالين حـ ٢ صـ ٥٣
(٣) الإحياء حـ ٤ صـ ٤٩٧

صفتها ، ما رواه الحافظ ابن حجر فى شرح حديث النبى ﷺ الذى رواه أبو هريرة رضى الله عن النبى ﷺ قال : أرسل الله تعالى ملك الموت لموسى عليهما السلام ، فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه فقال : أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت ، فرد الله عليه عينه وقال : إرجع فقل له: يضع يده على متن ثور فله بكل ماغطت يده بكل شعرة سنة قال : أى رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت قال : فالآن ، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال رسول الله ﷺ : فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر ، وقد عنون البخارى لهذا الحديث بقوله : باب من أحب الدفن فى الأرض المقدسة أو نحوها ، قال ابن حجر : وقال المهلب . إنما طلب ذلك ليقرب عليه المشى إلى المحشر ، وتسقط عنه المشقة الحاصلة لمن بعد عنه»(١) .

وروى القرطبى فى التذكرة قال أبو نعيم حدثنا أبى قال حدثنا إسحاق قال حدثنا محمد قال حدثنا عبد الرازق قال أخبرنا المنذر بن النعمان عن وهب بن منبه يقول : قال الله تعالى لصخرة بيت المقدس «لأضعن عليك عرشى ولأحشرن عليك خلقى ، وليأتينك يومئذ داود راكبا » .

إما الذين قالوا : إن تبديل الأرض هو تبديل ذات ، فقد اختلفوا أن سيكون الناس وقت تبديل الأرض بأخرى فقيل على الصراط ورووا حديث عائشة رضى الله عنها الذى قالت فيه لرسول الله ﷺ أن الناس يومئذ؟ قال : على الصراط ، ثم قال شارح الحديث : والصراط لا يسع جميع الخلق ثم إن الصراط إنما يكون بعد الفراغ من الحساب » .

وذكر بعض العلماء ما أجاب به النبى ﷺ حينما جاءه حبر من اليهود

(١) فتح البارى حـ ٦ صـ ٢٥٢

فقال : أين يكون الناس « اليوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » فقال رسول الله ﷺ : هم في الظلمة دون المحشر، فهذا الاختلاف يقوى .

قول جمهور العلماء أن التبديل تبديل صفة فقط .

وقد صحت أحاديث عن النبي ﷺ تقول : إن هذه الأرض بعد الفراغ من الحساب ستضم إلى الجنة، وإن الشمس ستنضم إلى النار لتزيد من حرها.

وقد ذهب علماء التوحيد والمفسرون إلى أن الفناء في قوله تعالى « كل من عليها فان» هو الموت فقط وليس هو العدم المحض ، واستشهدوا : بقول العرب : فنى الطعام للطعام الذى تغيرت صفته بالحموضة أو الفعن وخرج عن حد الانتفاع به مع أن ذاته باقيه وصفته فقط هى التى تبدلت .

وقد صحت روايات عن رسول الله ﷺ بأن نهر النيل ونهر سيحون وجيحون من أنهار الجنة ، وأن هذه الأرض التى نعيش عليها الآن ستنضم إلى الجنة .

ثم إن تغيير صفة الأرض سيكون بأن تذهب جبالها فتصير هباء كما قال تعالى « ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نفسا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا » .

وقال تعالى « يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش» .

وقال تعالى « وسيرت الجبال فكانت سرابا» والظاهر أنها تصير سرابا بالتسوية بالأرض ثم تسجر البحار كما قال تعالى « وإذا البحار سجرت » أى صارت نارا ، وقد أثبت العلم الآن أن الماء مركب من غازى الهيدروجين والأكسوجين بنسبه ٢ إلى ١ ، فليس من المستبعد أن يفصل الله تعالى الهيدروجين عن الأكسوجين ويشعل الهيدروجين ويزيد الأكسوجين من اشتعاله حتى تفرغ البحار من الماء ، وحينئذ تنكدر النجوم .

كما قال تعالى : « وإذا النجوم انكدرت » أى انقضت وتساقطت على الأرض ، فتسد فراغ البحار بأجسامها فإنها مكونة من نفس مادة الأرض من الصخور والتراب ، كما بينت ذلك الأحجار المجلوبة من سطح القمر ، فتظهر الأرض بعد وقوع النجوم فى مكان البحار مسطحة مستوية ليس فيها عوج ولا أمت ، وخلد متسع جميع الخلائق فى أرض المحشر التى سيكون مركزها الشام ، فقد روى عثمان بن أبى سوده عن ميمونه مولاة النبى ﷺ قالت : قلت يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس ، قال: أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه فإن صلاة فيه كألف صلاة فى غيره . قلت أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه ؟ قال فتهدى له زيتا يسرج فيه ، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه »(١) .

الحشر — سماؤه —

ما ذكره العلماء فى تبديل الأرض ينطبق على السماء أيضا ، قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى « يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات » وتبديل السماء تكوير شمسها وقمرها وتناثر نجومها .

قال الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى « ويوم تشقق السماء بالغمام » ونزل الملائكة تنزيلا ، الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا ، ما المعنى من الانشقاق؟ نقول: حقيقة ذوبانها وخرابها كما قال تعالى « يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب » إشارة إلى خرابها ، ويحتمل أن يقال انشقت بالغمام أى مع الغمام»(٢) .

---

(١) أخرجه ابن ماجه فى سننه — كتاب إقامة الصلاة ج ١ ص ٥٥١ طبعة عيسى الحلبى .

(٢) تفسير الفخر الرازى حـ ٨ ص ٣٣٠

وجاء فى تفسير ابن كثير قال تعالى « فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهام »(١) أى يوم القيامة .

كما دلت عليه هذه الآيات مع ماشا كلها من الآيات الواردة فى معناها كقوله تعالى « وانشقت السماء فهى يومئذ واهية » وقوله تعالى « يوم تشقق السماء بالغمام » وقوله تعالى « إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت » أما قوله تعالى « فكانت وردة كالدهان » أى تتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء ، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم ، وقال الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى : « وردة كالدهان » قال: هو الأديم الأحمر ، وقال تغير لونها فهى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة ، أو ذى الألوان ، وقال أبو الجوزاء فى صفاء الدهن »(٢) . وهكذا ترى أن ابن كثير يذهب إلى أن السماء يتغير لونها فقط وذهب بعض العلماء إلى أن السماء تتغير ذاتها فتكون من ذهب كما روى على رضى الله عنه .

وذهب الغزالى فى الإحياء إلى أن السماء تنشق مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة تخالطها صفرة فتصير وردة كالدهان ، وتصير كالمهل .

وقال الحافظ ابن حجر « واختلف فى السموات أيضاً فتقدم قول من يقول : إنها تصير جفانا ، وقيل إنها إذا طويت تكوير شمسها وقمرها وسائر نجومها ، وتصير تارة كالمهل وتارة كالدهان ، وأخرج البيهقى فى البعث عن مرة عن ابن مسعود قال : السماء تكون ألوانا كالمهل ، وكالدهان وواهية وتشقق ، فتكون حالا بعد حال ، وجمع بعضهم بأنها تنشق أولا فتصير كالوردة وكالدهان وواهية وكالمهل وتكور الشمس والقمر وسائر النجوم ، ثم تطوى

(١) الآية ٣٧ سورة الرحمن.

(٢) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٢٧٥

السماء وتضاف إلى الجنان »(١) ، فهذا القول بطى السماء وإضافتها إلى الجنان دليل على أنها لا تقدم ولا تفنى بالكلية ، بل تتغير أحوالها فقط كما أخبر تعالى عن انشقاقها فى كثير من آيات القرآن الكريم قال : « إذا السماء انفطرت) أى انشقت لنزول الملائكة فصارت أبواباً ، كما قال تعالى « وفتحت السماء فكانت أبواباً » قال الفخر الرازى : والمعنى كثرت أبوابها الفتحة لنزول الملائكة ، قال القاضى: وهذا الفتح هو معنى قوله تعالى : « إذا السماء انشقت » « وإذا السماء انفطرت » إذ الفتح والتشقق والتفطر تتقارب »(٢) وذلك لنزول الملائكة للالتفاف حول أهل المحشر .

وقال الألوسى « ويوم تشقق السماء بالغمام » أى تشقق متغيمة فالباء باء الحال وهى للملابسة ، والمراد بالسماء ما يعم السموات كلها ، وتشقق سماء سماء ، وتنزل الملائكة تنزيلا » أى تنزيلا عجيباً غير معهود ، فعن رسول الله ﷺ أنه قال : يجمع الله تعالى الخلق يوم القيامة فى صعيد واحد ، الجن ، والإنس والبهائم والسباع والطير ، فتنشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن فى الأرض ، فتحيطون بأهل الأرض ، ثم تنشق السماء الثانية وينزل أهلها فيحيطون بأهل الأرض والملائكة من أهل السماء الأولى وهكذا كل سماء إلى السابعة فهذا يبين أن السموات لا تذوب ولا تعدم بالكلية ، وإنما ستضاف إلى الجنة بعد هذه التغيرات التى تطرأ عليها ، وهذا لما قيل فى تكوير الشمس وخسوفها فى يوم القيامة ، فإن من علامات الساعة الكبرى طلوع الشمس من مغربها ثم كسوفها وانطفاء نورها دليلا على قيام الساعة ولكنها لا تذهب إلى العدم ، بل ستعود مرة أخرى وتقرب من رءوس الخلائق فى أرض المحشر والموقف العظيم حتى يعرق الناس من وهج الشمس كما تروى الأحاديث الصحيحة كما يأتى .

(١) فتح البارى حـ ٢٤ ص ١٨٠

(٢) الفخر الرازى جـ٨ ص ٣٢٨

كيفيــة الحشر

كيفية الحشر هى بيان الهيئة والصفة التى يكون عليها الناس عندما يخرجون من قبــورهم ويساقون إلى أرض المحشر فى الموقف العظيم ليحاسبهم الله تعالى على ما قدموه فى الحياة الدنيا ليجازوا على هذه الأعمال إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ولبيان هذه الكيفية لا بد من الإشارة إلى كيفية الحشر الثانى فى الدنيا قبيل القيامة لأنه من علاماتها، ثم نبين كيفية بعث الناس من قبورهم، ثم كيفية حشرهم إلى أرض الموقف العظيم للعرض والحساب.

أما كيفية الحشر الثانى فى الدنيا فقد بينها رسول الله ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال: اطلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون قالوا: نذكر الساعة قال: إنها لن تقوم حتى يرون قبلها عشر آيات، فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»(١) وهذا هو الحشر الثانى من حشرى الدنيا، وهو من أشراط الساعة كما بين الحديث، وفى حديث بن عمر عند أحمد وأبى يعلى مرفوعاً قال رسول الله ﷺ «تخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس إلى محشرهم، قيل فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالشام، وفى لفظ آخر «ذلك نار تخرج من قعر عدن ترحل الناس إلى المحشر.

(١) صحيح مسلم كتاب الفتن ج١٨ ص٢٧

قال الحافظ ابن حجر «قلت: وفى حديث أنس فى مسائل عبد الله ابن سلام لما أسلم «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»، وفى حديث عبد الله بن عمر وعبد الحاكم رفعه «تبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، ثم تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، ويكون لها ما سقط منهم وتخلف، تسوقهم سوق الجمل الكسير».

ثم قال ابن حجر: وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لى فى وجه الجمع أن كونها تخرج من قعر عــدن لا ينافى حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت فى الأرض كلها(١)».

وروى البخارى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: يحشر الناس على ثلاث طرائق، راغبين، وراهبين واثنان على بعير، ثلاثة على بعير، أربعة على بعير، عشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسى معهم حيث أمسوا. قال الخطابى: هذا الحشر يكون قبل قيام الساعة، تحشر الناس أحياء إلى الشام، وأما الحشر من القبور إلى الموقف فهو على خلاف هذه الصورة من الركوب على الإبل والتعاقب عليها. ثم قال ابن حجر: وقال الحليمى إلى أن هذا الحشر يكون عند الخروج من القبور»(٢) وقال بعض شراح المصابيح: حمله على الحشر من القبور أقوى من أوجه:

أحدها: أن الحشر إذا أطلق فى عرف الشرع إنما يراد به الحشر من القبور مالم يخصه دليل.

ثانيها: ليس لنا أن نحكم بتسليط النار فى الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف.

(١) فتح البارى ج٢٤ ص١٨١ (٢) فتح البارى ج٢٤ ص١٨٢

وتقصيه الطيبى ورجح ما ذهب إليه الخطابى وأجاب عن الوجه الأول بأن الدليل ثابت

فقد ورد فى عدة أحاديث وقوع الحشر فى الدنيا إلى جهة الشام ، منها كما فى الحديث الذى ذكرناه عن حذيفة بن أسيد ، ومنها حديث معاوية بن حيدة رفعه قال ﷺ « إنكم محشورون ونحا بيده نحو الشام رجالا وركبانا وتجرون على وجوهكم » أخرجه الترمذى والنسائى وسنده قوى ، ومنها حديث « ستكون هجرة بعد هجرة ، وتنحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم ولا يبقى فى الأرض إلا شرارها تلفظهم ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، تبيت معهم إذا باتوا ، وتقيل معهم إذا قالوا » أخرجه أحمد وسنده لا بأس به ، وأخرج عبد الرازق النعمان بن المنذر عن وهب بن منبه قال : قال الله تعالى لصخره بيت المقدس لأضعن عليك عرشى ، ولأحشرن عليك خلقى » (١)

وصوب القاضى عياض ما ذهب إليه الخطابى وقواه بحديث حذيفة بن أسيد وبقوله فى آخر الحديث « تقيل معهم وتبيت وتصبح وتمسى » فإن هذه الأوصاف مختصة بالدنيا .

ويؤيد هذا ما ذكره الإمام النووى فى شرح هذا الحديث : قال العلماء : وهذا الحشر فى آخر الدنيا قبيل القيامة ، وقبيل النفخ فى الصور بدليل قوله ﷺ « تحشر بقيتهم النار تبيت معهم وتقيل وتصبح وتمسى » وهذا آخر أشراط الساعة كما ذكر مسلم بعد هذا فى آيات الساعة » (٢) .

ثم حكى الحافظ ابن حجر خلافا : هل المراد بالنار نار على الحقيقة ؟ أو هو كناية عن الفتنة الشديدة كما يقال : نار الحرب لشدة ما يقع فى الحرب من أهوال ، قال تعالى « كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله » ثم قال :

---

(١) فتح البارى جـ ٢٤ ص ١٨٣

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٧ ص ١٩٤ ، ١٩٥

وعلى كل حال فليس المراد بالنار فى هذه الأحاديث نار الآخرة ، ولو أريد المعنى الذى زعمه المعترض لقيل تحشر بقيتهم إلى النار ، وقد أضاف الحشر إلى النار لكونها هى التى تحشرهم وتخطف من تخلف منهم »

وأما سبب أعتقاب العشرة البعير الواحد ، وسبب مشى الآخرين ، فقد سألوا عنها النبى ﷺ فقال : يلقى الله تعالى الآفة على الظهر حتى لا يبقى ذات ظهر ، حتى إن الرجل ليعطى الحديقة المعجبة بالشارف ذات القتب » أى يشترى الناقة المسن لأجل كونها تحمله على القتب » بالبستان الكريم لهوان العقار الذى عزم على الرحيل عنه ، وعزة الظهر الذى يوصله إلى المقصود ، وهذا لائق بأحوال الدنيا ، ومؤكد لما ذهب إليه الخطابى (١)

ويحتمل أن تكون النار نار الفتنة ، وقد حدثت فعلا فى عدن فى هذه الأيام فتنة الحرب بين الحكام ، فتقاتلوا على السلطة ومات خلق كثير ، وفر آخرون تاركين كل ما يملكون .

ولا تزال الفتنة نائمة هناك ، وستستيقظ هناك فتنة عارمة كما أخبر الرسول ﷺ حتى يهرب الناس جهة الشام ، وها هى الحرب بين إيران والعراق تأكل الأخضر واليابس ، وتدمر المدن وتبيد الحضارة ، وربما فر ويفر خلق كثير إلى جهة الشام .

ويجب أن يعلم الناس أن الرسول ﷺ يخبر عن الغيب بلسان الحق ، فلا يقول أحد كيف يخبر الرسول أن الناس سيركبون الإبل مع وجود السيارات والطائرات والسفن ؟ لأن الواقع العلمى يؤكد أن البترول سيفرغ أو سيحترق فتقف السيارات والطائرات ولا تجد ما تسير به من وقود ، أو ربما تدمر بالصواريخ التى تحرق كل شىء ولا يبعد أن يحدث

---

(١) فتح البارى جـ ٢٤ ص ١٨٤

انفجار ذرى يدمر كل هـــذه الأشياء ولا يجد الناس فى آخر الزمان إلا الإبل يركبونها إلى الشام ، ومن العجيب أننى سمعت من التلفزيون وأنا أكتب البحث يوم الأربعاء ٣٠ إبريل سنة ١٩٨٦ م أن محطة نووية للوقود الذرى قد انفجرت فى كرانيا بالاتحاد السوفييتى فأهلكت خلقا كثيرا ، وهجرت الحكومة آلاف نسمة فى ألف وستمائة كيلو متر مربع بعيدا عن خطر الانفجار وخطر الإشعاع فلا يبعد أن يدمر السلاح النووى الرهيب كل هذه الحضارة ويعود الناس إلى ركب الإبل كما ابتدأوا .

قال ابن حجر يرد على من يقول : إن هذا الحشر سيكون بعد البعث فى القيامة « ولم أقف فى شىء طرق الحديث الذى أخرجه البخارى على لفظ يوم القيامة ، لا فى صحيحه ولا فى غيره ، وكذا عند مسلم والإسماعيلى وغيرهما ليس فيه يوم القيامة ، نعم ثبت لفظ يوم القيامة فى حديث أبى ذر المنبه عليه قبل ، وهو مؤول بأن المراد بذلك أن يوم القيامة بعقب ذلك فيكون من مجاز المجاورة ، ويتعين ذلك لما وقع فيه أن الظهر يقل لما يلقى عليه من الآفة ، وأن الرجل يشترى الشارف الواحد بالحديقة المعجبة » فإن ذلك ظاهر جدا فى أنه من أحوال الدنيا لا بعد البعث ، ومن أين للذين يبعثون بعد الموت عراة حفاة حدائق حتى يدفعوها فى الشوارف ؟ .

ثم بعد ذلك يخرج الدجال فقد روى مسلم فى صحيحه عن عبد الله بن عمر أن رسول ﷺ قال : يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعين لا أدرى ، أربعين يوما أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ، فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود الثقفى فيطلبه فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى

على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته ، حتى إن أحدكم لو دخل جبل لدخلت عليه حتى تقبضه ، ويبقى شرار الناس خفة الطير ، وأحلام السباع ، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان فيقول : ألا تستجيبون ! فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان ، وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا ، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله ، قال : فيصعق ويصعق الناس وهـــذه نفخة الصعق (١) .

قال تعالى « ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون » (٢)

وقد فسر الإمام الخازن الفزع بالصعق فى قوله تعالى « ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله » (٣) قال (ففزع) أى فصعق (من فى السموات ومن فى الأرض) أى ماتوا والمعنى أنه يلقى عليهم الفزع إلى أن يموتوا ، وقوله تعالى (إلا من شاء الله) هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل على القول الراجح ، ثم يؤمر عزرائيل فيقبض روح جبريل وميكائيل وإسرافيل ثم يميت الله تحقيقا لقوله تعالى (كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) فإذا لم يبق أحد إلا الله طوى السماء كطى السجل للكتاب ثم يقول الله أنا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فيقول : لله الواحد القهار (٤) ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون) وهذه نفخة البعث وهى النفخة الثانية

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى حـ١٧ ص٩١

(٢) الآية ٦٧ سورة الزمر

(٣) الآية ٨٧ سورة النمل

(٤) تفسير الخازن حـ٣ ص ٣٩٣ ، ٣٩٤

روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (ما بين النفختين أربعون ، قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما ، قال : أبيت ، قالوا : أربعون شهرا قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة ، قال: أبيت ، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل قال: وليس من الإنسان شىء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة ، قال النووى فى شرحه : معنى أبيت أى أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يوما أو شهر أو سنة بل الذى أجزم به أنها أربعون بجملة ، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره فى مسلم أربعون سنة ، وقول الرسول ﷺ (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب) مخصوص فيخص منه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ، فإن الله حرم على الأرض أجسادهم كما صرح به فى الحديث (١) .

وكذلك الشهداء ، والمؤذنون احتسابا ، والعلماء العاملون ، وحفاظ القرآن العاملون بما فيه ، كما ورد فى الأحاديث الصحيحة .

قال رسول الله ﷺ « كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ) أى نفخة الصعق ، فكأن ذلك ثقل على أصحاب رسول الله ﷺ فقال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل » .

ثم يرسل الله ماء من تحت العرش كمنى الرجال فتنبت أجسامهم ولحومهم كما ينبت البقل من التراب .

والصور قرن من نور فيه ثقوب على عدد أرواح الخلق ، فيجمع الله تعالى فيه الأرواح بعد ما كانت حول قبورها أو فيتها ، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث فتنطلق كل روح إلى جسدها حتى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى جـ ١٨ صـ ٩٢ .

تدخل فيه من رأسه ، ثم يقومون فيجيبون إجابة واحدة » (١) .

قال ﷺ « إن السماء تمطر هذا الماء أربعين سنة حتى يكون الماء فوقكم إثنى عشر ذراعا ، ثم يأمر الله تعالى الأجساد فتنبت كنبات البقل ، حتى إذا تكاملت أجسادكم وكانت كما كانت يعنى فى الدنيا ، يقول الله عز وجل ليحمى حملة العرش فيجبون ، ثم يقول : ليحمى جبريل وميكائيل واسرافيل وعزائيل ، فيأمر الله عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور ، ثم يدعوا الله تعالى الأرواح ، فيؤتى بها تتوهج أرواح المسلمين نورا ، والأخرى مظلمة ثم يلقى بها فى الصور ، ثم يقول لإسرافيل انفخ نفخة البعث ، فينفخ فتخرج الأرواح لها دوى كدوى النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض ، فيقول الله عز وجل ، وعزتى وجلالى لترجعن كل روح إلى جسدها ، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد ، ثم تدخل فى الخياشيم فتمشى فى الأجساد مشى السم فى اللديغ ، ثم تنشق عنكم الأرض ، ثم ﷺ « وأنا أول من تنشق عنه الأرض ، فتخرجون منها شبابا كأنكم أبناء ثلاث وثلاثين » (٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : ينفخ فى الصور فيصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى ، فأكون أول من رفع رأسه فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أكان ممن استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلى ، وذكر القرطبى فى التذكرة قول بعض العلماء فى تفسير قوله تعالى « واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب » إنه ملك قائم على صخرة بيت المقدس فينادى : أيتها العظام البالية ، والأوصال المنقطعة ، وباعظاما نخرة ، ويا أكفانا فانية ، ويا أبدانا فاسدة ، ويا عيونا سائلة ، قوموا العرض

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى .

(٢) مختصر التذكرة للإمام الشعرانى صـ ٤٢ .

رب العالمين » قال قتادة : المنادى هو صاحب الصور ينادى من الصخرة من بيت المقدس ، قال عكرمة : ينادى منادى الرحمن فكأنما ينادى فى آذانهم « يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج ، يوم تشقق الأرض عنهم سراعا) إلى المنادى صاحب الصور إلى بيت المقدس أرض المحشر (ذلك حشر علينا يسير) أى هين سهل ، فإذا انفخ فى الصور النفخة الثانية ذهب كل روح إلى جسده (فإذاهم من الأحداث) أى القبور (إلى ربهم ينسلون[1]) أى يخرجون منها أحياء يمشون إلى ربهم أى إلى المنادى لأنه يناديهم بأمر الله تعالى ليحشروا إلى أرض الموقف العظيم وهذا البعث للأجساد إنما يكون عن تفريق لاعن عدم كما ذهب إليه جمهور أهل السنة، وقاموا بالرد على الفلاسفة الذين أنكر وابعث الأجساد بناء على أنها تعدم والمعدوم لايعود ، والحق أنها تتفرق أجزاؤها ،وتبقى الأجزاء الأصلية ، ومنها عجب الذنب كما جاء فى الأحاديث الصحيحة ، وهناك أجسام لا تبلى مطلقا كأجساد الأنبياء العلماء العاملين وحفاظ القرآن العاملين بما فيه والمؤذنين احتسابا .

ثم يعيد الله تعالى الأجساد مرة أخرى كما كانت و كثير من آيات القرآن ناطقة بأن الأجساد التى كانت فى الدنيا هى التى استعاد مرة أخرى بعينها ، قال تعالى « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون» ومعلوم أن الألسنة والأيدى والأرجل التى ستشهد على أصحابها يوم القيامة ، هى بعينها التى شهدت هذه المعاصى فى الدنيا ولذلك ستشهد عن علم وبصيرة بما شاهدت وعاينت ، وسينطقها الله تعالى « الذى أنطق كل شىء وهو على كل شىء قدير » .

وقال تعالى « قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ »

---

(١) التذكرة للقرطبى .

أى كل ماتنقصه الأرض من أجسامهم محفوظ عند الله تعالى لا يضيع ، وسيعيد كل ذرة إلى جسدها ، بل إن هناك أجساد لاتبلى كما أخبر الرسول ﷺ ، بل قد رأينا الأجساد المحنطة لقدماء المصريين هى هى بلحمها وعظمها وشعرها « وستظل كذلك إلى أن يبعثها الله تعالى ، فتدب فيها الحياة مرة أخرى .

وبعد أن يخرج الناس أحياء من قبورهم يساقون إلى أرض المحشر أرض الموقف العظيم للعرض والحساب .

وهذا هو الحشر الثالث : وهو سوق الناس بعد إحيائهم من القبور ، وجمعهم فى أرض الموقف للحساب ، فما كيفيته ؟

لقد سألت ائنتان من أمهات المؤمنين رضى الله عنهن عن كيفية هذا الحشر ،وأولهن السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : يارسول الله بأبى أنت وأمى : إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به قال : « إن كان عندى منه علم » .

قالت : يا نبى الله كيف يحشر الرجال ؟ قال: حفاة عراة، ثم انتظرت ساعة فقالت: يا رسول الله كيف يحشر النساء؟ قال: حفاة عراة ، قالت واسوأتاه من يوم القيامة ، قال: وعن أى ذلك تسألين ، إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب، أو لا يكون ،قالت: آية آية يا نبى الله؟ قال: « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »[1] .

والثانية هى السيدة سودة بنت زمعة روى البغوى فى تفسيره عن محمد بن أبى عياش عن عطاء ابن يسار عن سودة زوج النبى ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ — (يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق ، وبلغ شحوم

---

(١) ابن كثير التفسير جـ ٤ ص ٤٧٣

الآذان) فقلت: واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ، فقال : قد شغل الناس « لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه »(١) .

وروى البخارى عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قام فينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال: إنكم تحشرون حفاة عراة غرلا « كما بدأنا أول خلق نعيده » ، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل .

فهذه الأحاديث تبين كيفية الحشر ، وأن الناس يحشرون حفاة عراة مشاة غرلا ، أى ترد عليهم القلفة وهى الجلدة التى يقطعها الختان من الذكر ، فهذه الأحاديث تصرح بحشر الناس عراة !

ولكن وردت أحاديث أخرى تبين أن الأمة الإسلامية تحشر فى أكفانها وسائر الأمم تحشر عراة ، فقد ذكر الشعرانى فى مختصر التذكرة للقرطبى قال : رأيت فى كتاب كشف علوم الآخرة للإمام الغزالى أنه روى عن النبى ﷺ أنه قال: « بالغوا فى أكفان موتاكم ، فإن أمتى تحشر بأكفانها وسائر الأمم عراة حفاة »(٢) .

فهذا الحديث يعارض الأحاديث السابقة التى تصرح بأن الناس جميعاً سيحشرون عراة ، مما جعل القرطبى يقول: وهذا الحديث لم أقف عليه والله أعلم بصحته » .

وقد تتبعت هذا الحديث لأتيقن من صحته فوجدت فى فتح البارى عند شرح كلمة (عراة) .

قال البيهقى : وقع فى حديث أبى سعيد يعنى الذى أخرجه أبو داود وصححه

(١) المرجع السابق جـ٤ ص٤٧٤

(٢) مختصر التذكرة للشعرانى ص ٤٥

ابن حبان ، أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال : سمعت النبى — صلى الله عليه وسلم — يقول : إن الميت يبعث فى ثيابه التى يموت فيها »(١) .

وذكره السيوطى فى جامع الأحاديث للجامع الصغير وزوائده من رواية أبى سعيد ، وأخرجه ابن حبان فى صحيحه ، فقد أورد الحافظ نور الدين الهيثمى فى موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان فى كتاب البعث فى باب « كيف يبعث الناس ؟ وأخرجه أبو داود فى سننه فى كتاب الجنائز ، فى باب ما يستحب من تطهير ثياب الميت »(٢) فهو حديث صحيح ، فكيف نوفق بينه وبين الأحاديث السابقة ؟

قال ابن حجر فى التوفيق ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً ، وبعضهم كاسياً ، أو يحشرون كلهم عراة ، ثم يكسى الأنبياء ، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، أو يخرجون من القبور بالثيات التى ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ، ثم يكون أول من يكسى إبراهيم عليه السلام .

ثم قال ابن حجر : وحمل بعضهم حديث أبى على الشهداء ، لأنهم الذين أمر أن يزملوا فى ثيابهم ويدفنوا فيها ، فيحتمل أن يكون أبى سمعه فى الشهيد فحمله على العموم .

ومن حمله على العموم معاذ بن جبل ، فقد أخرج ابن أبى الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال : « دفنا أم معاذ بن جبل ، فأمر بها فكفنت فى ثياب جدد وقال : أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون

(١) فتح البارى جـ ٢٤ ص ١٨٨

(٢) سنن أبى داود جـ ٢ ص ١٦٩

فيها »(١) ، ورجح القرطبى أن الحديث مخصوص بالشهداء فقال : وإن صح فيكون معناه (فإن أمتى الشهداء تحشر بأكفانها ، حتى لا تتناقض الأخبار، ثم قال : ولا يعارض هذا الباب ما تقدم من أن الموتى يتزاورون فى قبورهم بأكفانهم ، فإن ذلك يكون فى البرزخ ، فإذا قاموا من قبورهم خرجوا عراة ما عدا الشهداء »(٢) .

فالقرطبى خصه بالشهداء وسلم بصحة الحديث، فلا مانع أن تكون أمة محمد ﷺ — مخصوصة من جميع الأمم فتحشر بأكفانها وسائر الأمم تحشر عراة ، وقد ذهب إلى عموم الحديث لأمة محمد ﷺ علمان من أعلام الصحابة ، وهما أبو سعيد الخدرى ومعاذ بن جبل .

وقد جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ : أن من كسا لله كساه الله يوم القيامة ، ومن سقى لله سقاه الله يوم القيامة ، رواه القرطبى فى التذكرة: وقال فيحمل قوله (عراة) على من لم يكس أحداً فى دار الدنيا وعلى بقية الأمم .

أما قوله عليه الصلاة والسلام (وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل) .

فقد قال القرطبى فى شرح مسلم : يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا ﷺ — فلم يدخل هو فى عموم خطاب نفسه ، ثم تعقبه تلميذه القرطبى فى التذكره فقال : هذا حسن لولا جاء من حديث على الذى أخرجه ابن المبارك فى الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن على قال: (أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين ، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش » وقيل الحكمة فى كون إبراهيم أول من يكسى أنه جرد من ثيابه حين ألقى فى النار ، وأنه لا يلزم من تخصيص إبراهيم عليه السلام

(١) فتح البارى جـ ٢٤ صـ ١٨٨
(٢) التذكرة للقرطبى صـ ٢٣٩

بأنه أول من يكسى أن يكون أفضل من نبينا عليه الصلاة السلام مطلقا .

ثم قال ابن حجر : وقد ظهر لى الآن أنه يحتمل أن يكون نبينا عليه الصلاة والسلام خرج من قبره فى ثيابه التى مات فيها ، والحلة التى يكساها حينئذ من حلل الجنة خلعة الكرامة بقرينة إجلاسه على الكرسى عند ساق العرش ، فتكون أولية ابراهيم فى الكسوة بالنسبة لبقية الخلق (١) » لأن نبينا ﷺ هو أفضل من وافى القيامة على ما يأتى فى أحاديث الشفاعة بل هو أفضل الخلق على الإطلاق .

ويدل على أن الأمة الإسلامية ستبعث فى أكفانها أن من مات فى الحج وهو محرم ، فإنه يكفن فى لباس إحرامه وهو الإزار والرداء ، فقد جاء فى صحيح مسلم أن رجلا وقصته ناقة وهو محرم فمات فقال ﷺ « اغسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبه ، ولا تمسوه طيبا ، ولا تخمروا رأسه ، فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا » (٢) فكل هذه الأحاديث تؤكد أن أمة محمد ﷺ ستحشر فى أكفانها وسائر الأمم تحشر عراة .

فهذه كيفية الحشر من جهة الملبس والعرى ، أما كيفية الحشر من جهة الركوب والمشى ، فقد وردت آيات من القرآن الكريم وأحاديث صحيحة تبين أن المتقين سيحشرون ركبانا ، وسائر الناس مشاة ، قال تعالى « يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ، فمعنى وفدا أى ركبانا كما أخرجه جماعة عن ابن عباس رضى الله عنهما ؛ وأخرج ابن أبى الدنيا ، وابن أبى حاتم ، وابن مردويه من طرق عن على رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية فقلت يارسول الله هل الوفد إلا الركب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام « والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال من الذهب

(١) فتح البارى حـ ٢٤ صـ ١٨٩ ، ١٩٠
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى

شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر ، وينتهون إلى باب الجنة ، وهذه النوق من الجنة كما صرح به فى حديث أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد وغيره موقوفاً على على كرم الله وجهه ، وروى عن عمر بن قيس أنهم يركبون على تماثيل من أعمالهم الصالحة .

ومعنى نسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ، أى نسوقهم عطاشاً ، كالدواب التى ترد الماء .

قال الألوسى « واستدل بالآية على أن أهوال القيامة تختص بالمجرمين ، لأن المتقين من الإبتداء يحشرون مكرمين ، فكيف ينالهم بعد ذلك شدة »(١) .

وجاء فى البحر : الظاهر أن حشر المتقين إلى الرحمن وفدا بعد انقضاء الحساب ، وامتياز الفريقين وحكاه ابن الجوزى عن أبى سليمان الدمشقى ، ثم عقب الألوسى على هذا الرأى بقوله (وأنت تعلم أن ذلك لا يتأتى على ماسمعت فى الخبر المروى عن على كرم الله وجهه ، فإنه صريح فى أنهم يركبون عند خروجهم من القبور ، وينتهون إلى باب الجنة ، وهو ظاهر فى أنهم لا يحاسبون ، وقال بعضهم : إن المراد بالمتقين الموصوفون بالتقوى الكاملة ، ولا يبعد أن يدخلوا الجنة بلاحساب ، فقد صحت الأخبار بدخول طائفة من هذه الأمة الجنة بلا حساب »(٢) .

فقد أخرج الطبرانى والبيهقى عن عمرو بن حزم الأنصارى رضى الله تعالى عنه قال : « احتبس عنا رسول الله ﷺ ثلاثا لا يخرج إلا إلى صلاة مكتوبة ثم يرجع ، فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا ، فقلنا يارسول الله : احتبست عنا حتى ظننا أنه حدث حدث ، قال : لم يحدث إلا خير ، إن ربى

(١) تفسير الألوسى جـ١٦ ص١٣٦

(٢) الألوسى جـ١٦ ص ١٣٦

وعدنى أن يدخل من أمتى الجنة سبعين ألفاً بلاحساب ، وإنى سألت ربى فى هذه الثلاثة أيام المزيد ، فوجدت ربى ماجداً كريماً ، فأعطانى مع كل واحد سبعين ألفاً »(١) .

وجاء فى سورة ق فى كيفية حشر الناس وسوقهم إلى الموقف قوله تعالى « ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد ، وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »(٢) أى جاءت كل نفس ، معها ملكان أحدهما يسوقها إلى المحشر ، والآخر يشهد بعملها روى ذلك عن عثمان رضى الله عنه ، وقد أخرج أبو نعيم فى الحلية عن جابر حديثاً فيه تصريح بأن ملك الحسنات وملك السيئات أحدهما سائق والآخر شهيد » .

وقد وردت آيات كثيرة تبين كيفية حشر الكفار ظاهرها التعارض ولا بد من الجمع بينها ليزول التعارض ، فحاشا لله أن يكون كلامه متعارضاً ، منها قوله تعالى : « ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم »(٣) .

وقوله تعالى : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما »(٤) .

فالتعارف يحتاج إلى إبصار وهو يضاد العمى ويعارضه وقوله تعالى على لسان الكفار « ياويلنا من بعثنا من مرقدنا »(٥) .

فهو قول منهم يضاد البكم ولإزالة هذا التعارض الظاهرى بين هذه

(١) الألوسى جـ١٦ ص ١٣٧

(٢) الآيتان ٢٠ ، ٢١ سورة ق

(٣) الآية ٤٥ سورة يونس .

(٤) الآية ٩٧ سورة الإسراء .

(٥) الآية ٥٢ سورة يس .

الآيات التى تبين هيئة الكفار فى الحشر ، فلابد أن يعلم بادىء ذى بدء أن الآيات الكريمة تتحدث عن مواقف مختلفة ، وأحوال متنوعة ، فالناس إذا بعثوا من قبورهم ، فليست أحوالهم واحدة ، ولا مواقفهم واحدة ، ولا مقاماتهم واحدة ، ومن هنا اختلفت الأخبار عنهم ، وجملة هذه الأحوال خمسة :

الأولى : البعث من القبور .

الثانية : حال السوق والحشر إلى الموقف .

الثالثة : حال المحاسبة .

الرابعة : حال السوق والحشر إلى دار الجزاء .

الخامسة : حال مقامهم فى دار الجزاء .

فأما حال البعث من القبور فإن الكفار يكونون كاملى الحواس والجوارح وكذلك جميع الناس لقوله تعالى (يتعارفون بينهم) ، وقوله : « يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا » ، وقوله تعالى «فإذا هم قيام ينظرون» .

وفى الحالة الثانية وهى حال السوق والحشر إلى موضع الحساب فهم أيضاً بحواس تامة لقوله تعالى: «احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم إنهم مسئولون) ومعنى فاهدوهم أى دلوهم ولا دلالة لأعمى أصم ولا سؤال لأبكم ، فثبت بهذا أنهم يسمعون ويبصرون وينطقون .

وفى الحالة الثالثة فإنهم يكونون كاملى الحواس أيضاً ليسمعوا ما يقال لهم ، ويقرأوا كتبهم الناطقة بأعمالهم وتشهد عليهم جوارحهم بسيئاتهم فيسمعونها ، وقد أخبر الله عنهم أنهم يقولون (يا ويلتنا ما لهذا الكتاب

لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها) وأنهم يقولون لجلودهم (لم شهدتم علينا)(١) .

وفى الحالة الرابعة وهى السوق إلى جهنم ، فإنهم يسلبون فيها أسماعهم وأبصارهم وألسنتهم ، لقوله تعالى : (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً »(٢) .

ورجح الألوسى أن العمى الذى يتصف به الكافر فى المحشر هو عمى بصيرة ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ، قال رب لم حشرتنى أعمى ، وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى»(٣) .

فعن ابن عباس أن الكافر يحشر أولا بصيراً ثم يعمى ، ليكون الإخبار بأنه كان بصيراً إخباراً عما كان عليه فى أول حشره ، والظاهر أن ذلك العمى يزول أيضاً.وعن عكرمة أنه لا يرى إلا النار ولعل ذلك أيضاً فى بعض أجزاء ذلك اليوم وإلا فكيف يقرأ كتابه ؟ ثم قال : إن العمى هو عمى البصيرة عن الحجة التى يدافع بها عن نفسه لما روى عن مجاهد ومقاتل والضحاك وأبى صالح وهى رواية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس : أن المعنى نحشره يوم القيامة أعمى عن الحجة أى لا حجة له يهتدى بها ، وهو مراد من قال : أعمى القلب والبصيرة ، واختار ذلك ابراهيم بن عرفة وقال : كلما ذكر الله سبحانه فى كتابه العمى فذمه فإنما يراد به عمى القلب قال تعالى : « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » .

---

(١) التذكرة فى أمور الموتى والدار الآخرة للقرطبى ص ٢٣٤

(٢) الآية ٩٧ الإسراء .

(٣) الآيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ سورة طه .

وعلى هذا فالمراد بقوله : « وقد كنت بصيراً » أى كنت عالماً بحججى أحاج بها عن نفسى فى الدنيا ، وبهذا يندفع ما قاله ابن عطية فى الرد على من حمل العمى على عمى البصيرة ، إذ قال : لأنه لو كان أعمى بصيرة لم يحس به الكافر لأنه كان فى الدنيا أعمى البصيرة ومات وهو كذلك والجواب عن كلام ابن عطية : إنى حشرتك أعمى القلب لا تهتدى إلى ما ينجيك من الحجة لأنك تركت فى الدنيا آياتى وحججى فنتركك على هذا العمى أبداً »(١) .

ولأن الكفار وهم يعرضون على النار يقول تعالى فيهم : « وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى »(٢) ، فهذا النظر ينافى حشرهم عمياً ، ويؤيد أن العمى عمى القلب والبصيرة .

ونقل الفخر الرازى عن مجاهد والضحاك ومقاتل أن معنى قوله تعالى : « ونحشره يوم القيامة أعمى) يعنى أعمى عن الحجة ، ثم نقل ما قاله القاضى من أن هذا القول ضعيف ، لأن فى القيامة لابد أن يعلمهم الله تعالى بطلان ما كانوا عليه حتى يتميز لهم الحق من الباطل .

ثم قال الفخر الرازى : وتحقيق الجواب عن هذا الاعتراض هو أن الأرواح الجاهلة فى الدنيا المفارقة عن أبدانها على جهالتها تبقى على تلك الجهالة فى الآخرة ، وأن تلك الجهالة تصير هناك سبباً لأعظم الآلام الروحانية »(٣)

وقال الجبائى : المراد من حشره أعمى أنه لا يهتدى يوم القيامة إلى طريق

---

(١) الألوس ح ١٦ ص ٢٧٨

(٢) الآية ٢٧ سوره الأنعام .

(٣) الفخر الرازى . التفسير الكبير ج ٦ ص ٨٠

ينال منه خيرا ، بل يبقى واقفا متحيرا كالأعمى الذى لا يهتدى إلى شىء »(١)

أما كيفية حشر منكرى البعث فقد بينها الله تعالى بقوله (ويقول الإنسان أئذا ما مت لسوف أخرج حيا ، أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا ، فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا »(٢)

فالكفرة منكرو البعث يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين كانوا يغوونهم كل منهم مع شيطانه فى سلسلة ، وقال تعالى أيضا فى كيفية حشر منكرى البعث « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء مايزرون)(٣)

فقد أخبر تعالى أن المكذبين بالبعث وبلقاء الله يوم القيامة أنهم يحشرون وهم يحملون ذنوبهم على ظهورهم ، وبعض العلماء يجعل حمل الذنوب والآثام على الظهور من باب الإستعارة التمثيلية ، والمراد من هذا التمثيل بيان سوء حالهم وشدة مايجدونه من المشقة والآلام ، والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب .

وقال بعض العلماء حملها على الظهور حقيقة وأن الأعمال تجسم وأنها ستكون فى صورة البعير وصورة البقر وغيرها كما جاء فى الأحاديث عن رسول الله ﷺ والله أعلم .

وبعد أن بينا كيفية الحشر ننتقل إلى بيان الموقف العظيم والشفاعة العظمى .

---

(١) تفسير الفخر الرازى ج ٦ ص ٨٠

(٢) الآية ٦٨ سورة مريم

(٣) الآية ٣١ سورة الأنعام

الموقف العظيم والشفاعة العظمى

الموقف العظيم هو الموقف الذى سيجمع الله تعالى فيه جميع الخلائق من الجن والإنس وقيل والأنعام والوحوش للعرض والحساب وفصل القضاء.

روى فى الآثار أن الله تعالى يحشر الأمم من الجن والإنس ثم تقبل الوحوش أذلاء قال تعالى: (وإذا الوحوش حشرت) ثم تقبل الشياطين بعد عتوها خاضعة ذليلة، ثم اليها ثم قال تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) ثم تنشق السماء، ويحدث لانشقاقها دوى شديد تفزع له الخلائق ثم يهبط ملائكة السماء الأولى ثم الثالثة إلى السابعة فى حلقات، ثم ينادى الله سبحانه وتعالى (يامعشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون إلا بسلطان)(١)

أين الملوك وأين أبناء الملوك ؟أين الذين كانوا يأكلون خيرى ويعبدون غيرى ؟ لمن الملك اليوم ؟ فلا يرد أحد فيقول لله تعالى : الله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لاظلم اليوم إن الله سريع الحساب)ويقتص للشاة الجماء من القرناء التى نطحتها

ثم يقول الله تعالى للبهائم والوحوش كونوا ترابا فيكونون كذلك عندئذ يقول الكافر « ياليتنى كنت ترابا) وتدنوا الشمس من الرءوس قيل قدر ميل وتعطى حر عشر سنين أو تكون أقوى خمسين مرة من حرها اليوم فيعرق الناس حتى يخوضوا فى العرق كما قال رسول الله ﷺ (يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعا . ويلجمهم حتى

(١) الآية ٣٣ سورة الرحمن

يبلغ آذانهم) وأخرج ابن المبارك فى الزهد وابن أبى شيبة عن سلمان قال (تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ، ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين ؛ فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل .

وروى البيهقى « أن الرجل ليفيض عرقا حتى يسبح فى الأرض قامة ، ثم يرتفع حتى يبلغ أنفه)

وفى حديث ابن مسعود « إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول يارب أرحنى ولو إلى النار »(١)

وروى الشعرانى فى مختصر التذكرة فى تفسير قوله تعالى « وحشرناهم فلم نغادر منهم منهم أحدا) قال : « فتقفون فى الموقف حفاة عراة لاينظر الله إليكم ولا يقضى بينكم ، مقدار سبعين عاما ، فتبكى الخلائق ، ويعرقون حتى يبلغ منهم الأذقان ، ويلجمهم فيضجون ويقولون من يشفع لنا إلى ربنا)(٢)

هنا تكون الشفاعة العظمى لله تعالى ليفصل بين الخلائق ويريحهم من هذا الموقف العصيب .

وهذه الشفاعة العظمى ثابتة لنبينا ﷺ باتفاق الأمة جميعا من بين سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، وهى تشفعه إلى الله تعالى ليرحم الناس من هول الموقف وشدته ، حيث تقرب الشمس من الرءوس ويتساقط العرق ، فيفزع الناس إلى الأنبياء ليشفعوا لهم فى فصل القضاء والاراحة من هذا الموقف .

(١) فتح البارى ج ٢٤ ص ٢٤٨

(٢) مختصر التذكرة للشعرانى ص ٤٢

وحديث الشفاعة العظمى رواه البخارى ومسلم وكتب السنن ، ونصه كما رواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يجمع الله الناس يوم القيامه فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا: فيأتون آدم فيقولون : أنت الذى خلقك الله بيده ،ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا عند ربنا فيقول :لست هناكم ، ويذكر خطيئته ويقول : إئتوا نوحا أول رسول بعثه الله فيأتونه فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته إئتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلا فيأتونه فيقول : لست هناكم ويذكر خطيئته إئتوا موسى الذى كلمه الله فيأتونه فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته إئتوا عيسى فيأتونه فيقول : لست هناكم إئتوا محمدا ﷺ ، فقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونى فأستأذن على ربى، فإذا رأيته وقعت له ساجدا فيدعنى ما شاء الله ثم يقال : إرفع رأسك وسل تعطه ، وقل يسمع ، وأشفع، تشفع ،فأرفع رأسى،فأحمد ربى بتحميد يعلمنى ثم أشفع،فيحد لى حدا ، ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ، ثم أعود فأقع ساجدا مثله فى الثالثة والرابعة والخامسة حتى ما يبقى فى النار إلا ما حبسه القرآن قال قتادة : أى وجب عليه الخلود » .

وفى رواية ثابت (فأحمد ربى بمحامد لم يحمده بها أحد قبلى، ولا يحمده بها أحد بعدى .

ثم روى ابن حجر ما فى النسائى ، ومصنف عبدالرزاق ومعجم الطبرانى من حديث حذيفة رفعه قال «يجمع الناس فى صعيد واحد فيقال : يامحمد فأقول : لبيك وسعديك ، والخير فى يديك والمهدى من هديت ، وعبدك بين يديك ، وبك وإليك تباركت وتعاليت ، سبحانك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك) زاد عبد الرزاق سبحانك رب البيت» فذلك قوله تعالى « عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا»(١) .

---

(١) فتح البارى حـ ٢٤ صـ٢٥٣ والآية ٧٩ سورة الإسراء

قال ابن مندة : هذا حديث مجمع على صحة إسناده ، وثقة رواته .

وروى الخازن فى تفسيره هذا الحديث برواية أنس،وذكر فيه ما نسب إلى الأنبياء على أنه ذنوب ، ولكنه فى الحقيقة ليس كذلك لأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولكنهم أقروا بذلك هضما لأنفسهم .

فيقول آدم :إنى أذنبت ذنبا عظيما أهبطت به إلى الأرض ولكنه ولكن إئتوا نوحا ،فيأتونه فيقول : إنى دعوت على أهل الأرض دعوة فأهلكوا ، ولكن ائتوا إبراهيم فيأتونه فيقول : إنى كذبت ثلاث كذبات .

ثم قال رسول الله ﷺ ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ،ولكن ائتوا موسى فيأتونه ، فيقول : قد قتلت نفسا ولكن إئتو عيسى فيأتونه فيقول : إنى عبدت من دون الله ولكن إئتوا محمدا فيأتونى فأنطلق معهم .

قال ابن جدعان قال أنس فكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ قال :فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال :من هذا فيقال: محمد فيفتحون لى ويقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمنى الله من الثناء والحمد ، فيقال لى أرفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع ، وقل يسمع لقولك ، وهو المقام المحمود الذى قال الله سبحانه وتعالى دعسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» .

ثم روى الحديث الذى أخرجه الترمذى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، ولواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر» .

زاد فى رواية غير الترمذى (وأنا مستشفعهم إذا حبسوا) ثم روى حديث أبى هريرة الذى يقول فيه الرسول ﷺ (أنا سيد ولد آدم يوم القيامه وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأوق مشفع » وروى حديث عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال « إن الشمس تدنو يوم القيامه حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك أستغاثوا بآدم ثم بموسى ثم

بمحمد عليه الصلاة والسلام فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده فيه أهل الجمع كلهم »(١) .

والحديث الأول يجمع بين الشعاعة العظمى والشفاعة فى أهل الكبائر من أمته ﷺ .

وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ (أنا سيد الناس يوم القيامه وهل تدرون مم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم ، وبقية الحديث كرواية أنس إلا أنه يقول: إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وكذلك يقول نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ، وفى آخرة يقول الله تعالى : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطه ، اشفع تشفع ، فأرفع رأسى فأقول : يارب : أمتى أمتى » .

قال القاضى عياض : معناه والله أعلم فيؤذن لى فى الشفاعة الموعود بها والمقام المحمود الذى ادخره الله تعالى له وأعلمه أنه يبعثه فيه .

قال القاضى : وجاء فى حديث أنس وأبى هريرة ابتداء النبى ﷺ بعد سجوده وحمده والإذن له فى الشفاعة بقوله : أمتى أمتى :

وجاء فى حديث حذيفه بعد هذا فى هذا الحديث نفسه قال : فيأتون محمدا ﷺ فيقوم ويؤذن له وترسل الأمانه والرحم فيقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولهم كالبرق ، ثم كمر الريح ، ثم كمر الطير ، ثم كشد الرجال، ثم يكونون فى سرعة المرور على حسب مراتبهم وأعمالهم .

(١) تفسير الخازن حـ٣ صـ١٧٧

ثم قال القاضى : وبهذا يتصل الحديث، لأن هذه هى الشفاعة التى لجأ الناس إليه فيها وهى الإراحة من الموقف ، والفصل بين العباد ، ثم بعد ذلك حلت الشفاعة فى أمته ﷺ وفى المذنبين ، وحلت الشفاعة الأنبياء والملائكة وغيرهم كما جاء فى الأحاديث الأخر ، وجاء فى أحاديث الرؤية وحشر الناس اتباع كل أمة ما كانت تعبد، ثم تميز المؤمنين من المنافقين ، ثم خلول الشفاعة، ووضع الصراط فيحتمل أن الأمر باتباع الأمم ما كانت تعبد هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف وهو أول المقام المحمود، وأن الشفاعة التى ذكر حلولها هى الشفاعة فى المذنبين على الصراط ، وأنها لنبينا محمد ﷺ ولغيره ، كما نص عليه فى الأحاديث .

ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار، وبهذا يجتمع متون وتترتب معانيها »(١) .

ثم قال القاضى عياض : وكلام الأنبياء ﷺ من لدن آدم إلى عيسى فيه إشارة إلى هذه الشفاعة وأن هذ المقام ليس لهم بل لغيرهم، قال ويحتمل أنهم علموا أن صاحبها محمد ﷺ معينا ، وأما مبادرة النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وإجابته لدعوتهم فلتحققه أن هذه الكرامة والمقام المحمود له خاصة .

ثم قال القاضى : والحكمة فى أن الله تعال ألهمهم سؤال الأنبياء أولا، ولم يلهموا سؤال نبينا ﷺ هى والله أعلم إظهار فضيلة نبينا محمد ﷺ ، فإنهم لو سألوه إبتداء لكان يحتمل أن غيره يقدر على هذا ويحصله ، وأما إذا سألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه ، فامتنعوا ، ثم سألوه فأجاب وحصل غرضهم فهو النهاية فى ارتفاع المنزلة وكمال القرب وعظيم الإدلال والأنس ، وفيه تفضيله على جميع المخلوقين من الرسل والآدميين والملائكة،

(١) صحيح مسلم بشرح النووى حـ٣ صـ٥٧، ٥٨

فإن هذا الأمر العظيم وهى الشفاعة العظمى لا يقدر على الإقدام عليه غيره ﷺ وعليهم أجمعين » (١)

وروى البخارى عن أبى هريرة قال : قال أناس يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال : هل تضارون فى الشمس ليس دونها سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك ، يجمع الله الناس فيقول : من كان يعبد شيئا فليتبعه ، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت ، وتبقى هذه ، الأمة فيها منافقوها ، فيأتيهم الله فى غير الصورة التى يعرفون فيقول : أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا أتانا ربنا عرفناه ، فيأتيهم الله فى الصورة التى يعرفون فيقول : أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا فيتبعونه ، ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم ، ففى هذا الحديث يأتيهم الله ، وفى حديث الشفاعة العظمى ، أنا آتيكم فأقضى بينكم ، والحقيقة أن الله لا يأتى ولكن يأتى أمره ، أو بعض ملائكته ، ورجحه القاضى عياض ، فالله تعالى فنزه عن الجهة والجسمية ، والتشبيه برؤية القمر لتعين الرؤية دون المرئى ، والحديث يوهم أن لله صورة .

وقد استدل ابن قتيبة بهذا الحديث على أن لله صورة لا كالصور ، كما ثبت أنه شىء لا كالأشياء ولكن رد عليه العلما ، فقال ابن بطال : تمسك به المجسمة فأثبتوا لله صورة ، ولا حجة لهم فيه لاحتمال أن يكون بمعنى العلامة ، وضعها الله لهم ، دليلا على معرفته ، كما يسمى الدليل والعلامة صورة ، وكما تقول : صورة حديثك كذا ، وصورة الأمر كذا ،

(١) المرجع السابق صحيح مسلم جـ٣ ص ٥٨ ، ٥٧

والحديث والأمر لا صور لها حقيقة فإجاز غيره أن المراد بالصورة الصفة ، وأجاز الخطابى أن يكون الكلام خرج على وجه المشاكلة ، لما تقدم من ذكر الشمس والقمر والطواغيت .

والمهم التأكيد على أن الله تعالى منزه عن الجسمية ، وقد تضافرت الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع على إثبات رؤية الله تعالى فى الآخرة للمؤمنين ، ولا يشترط فى الرؤية ، تقابل الأشعة ، ولا مقابلة المرئى ، ولا ما يشترط فى رؤية الحوادث بعضهم لبعض ، والثابت أنهم يرونه من غير كيف ولا انحصار .

وقد أعترض ابن العربى على رواية العلاء ، وأنكر هذه الزياد ، وزعم أن المراجعة الواقعة فى حديث الباب ، تكون بين الناس ، وبين الواسطة ، لأن الله تعالى لا يكلم الكفار ولا يرونه ألبتة » (١)

وفى حديث أبى سعيد الخدرى ، فيقول ربنا عز وجل : هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها ؟

فيقولون : الساق ، فيكشف عن ساقه ، فيسجد له كل مؤمن ، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة ، فيذهب ليسجد ، فيعود ظهره طبقا واحدا » فقولهم الساق ، يحتمل أن الله عرفهم على ألسنة الرسل من الملائكة أو الأنبياء ، أن الله جعل لهم علامة تجليه الساق ، وذلك أنه يمتحنهم بإرسال من يقول لهم : أنا ربكم ، ولكنهم لا ينخدعون ويثبتهم الله ، لأنهم يرون هذا الملك فى صورة مجسمة محصورة ، وقد عرفوا ربهم فى فى دار الدنيا منزها عن ذلك ، وأما الساق ، فقد جاء عن ابن عباس فى تفسير قوله تعالى لا يوم يكشف عن ساق ، قال : عن شدة من الأمر ، والعرب تقول : قامت الحرب على ساق ، إذا اشتدت ، ومنه :

قد سن أصحابك ضرب الأعناق وقامت الحرب بنا على ساق

(١) فتح البارى ص٢٦٦ حـ ١٤

وعن أبي موسى الأشعرى قال : فيكشف عن ساق ، أى عن نور عظيم ، قال ابن فورك : معناه مايتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف ، وقال الخطابى : تهيب كثير من الشيوخ الخوض فى معنى الساق ، ومعنى قول ابن عباس : إن الله يكشف عن قدرته التى تظهر بها الشدة ، وأسند البيهقى الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن ، وأنشد الخطابى فى إطلاق الساق على الأمر الشديد فى سنة قد كشفت عن ساقها ، وأسند البيهقى من وجه آخر صحيح عن ابن عباس قال : يريد يوم القيامة قال الخطابى : وقد يطلق الساق ، ويراد النفس ، أى الذات ، لأن الله تعالى لا ساق له ، ولا وجه ، ولا جوارح ، لأنه ليس بجسم ، قال ابن حجر : ووقع فى حديث ابن مسعود : ثم ينادى مناد من السماء : أيها الناس ، أليس عدل من ربكم الذى خلقكم ، وصوركم ورزقكم ، ثم توليتم غيره ، أن يولى كل عبد من كان تولى ؟

قال : فيقولون : بلى ثم يقول : لتنطلق كل أمة إلى ما كانت تعبد ، وفى رواية العلاء بن عبد الرحمن « ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد » ووقع فى رواية مسلم عن أبى هريرة ، وفى صحيح ابن خزيمة « فيلقى العبد فيقول : ألم أكرمك ، وأزوجك وأسخر لك ؟ فيقول : بلى ، فيقول : أظننت أنك ملاقى ؟ فيقول : لا ، فيقول : إنى أنساك كما نسيتنى » الحديث وفيه « ويلقى الثالث ، فيقول آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسولك ، وصليت وصمت فيقول : ألا نبعث عليك شاهدا فيختم على فيه ، وتنطق جوارحه ، وذلك المنافق ، ثم ينادى مناد : ألا تتبع كل أمة ما كانت تعبد (١) فكل أمة تتبع ما كانت تعبد ، وتدخل النار مع معبودها ، إلا من لم يكن راضيا عن عبادتهم ، كالملائكة ، والعزيز ، والمسيح بن مريم عليهم السلام ، ثم تتطاير الصحف ، فالمؤمنون يأخذون كتبهم بأيمانهم والمنافقون

(١) فتح البارى حـ ٢٤ صـ ٢٦٧

والكفار يأخذون كتبهم بشمائلهم ، ومن وراء ظهورهم ، ويقولون « ياويلتنا مالهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا (١)

قال فى المقاصد : « الأمور المتعلقه بأمر القيامة كثيرة ، فمنها المحاسبة المشار إليها بقوله تعالى « إن الله سريع الحساب » وبقوله عليه الصلاة السلام « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » ، وأهوالها هول الوقوف ، قيل ألف سنة ، وقيل خمسون ألفا ، وقيل أقل والله أعلم .

قال تعالى « وقفوهم إنهم مسئولون » وقال تعالى « يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا » (٢)

قال الألوسى فى تفسير قوله تعالى « تعرج والملائكة والروح إليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أى من سنينكم ، واليوم بمعنى الوقت ، والمراد مقدار ما يقوم الناس فيه لرب العالمين ، إلى أن يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، من اليوم الآخر ، الذى لانهاية له ، وأخرج الإمام أحمد ، وابن حبان ، وأبو يعلى ، وابن جرير ، والبيهقى فى البعث ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم ؟ فقال : ﷺ : والذى نفسه بيده ، إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من صلاة مكتوبة ، يصليها فى الدنيا » واختلف فى المراد بهذا التقدير ، على هذا الوجه ، فقيل الإشارة إلى استطالة ذلك اليوم لشدته ، لا أنه بهذا المقدار من العدد وحقيقة ، وهذا مروى عن ابن عباس . وقيل إن المقدار المذكور مجاز عما يلزمه من كثرة ما يقع فيه من المحاسبات » (٣)

(١) الآية رقم ٤٩ من سورة الكهف
(٢) الآية رقم ٣٨ سورة النبأ
(٣) تفسير الألوسى حـ ٢٧ صـ ٧٠، ٧١

وأخرج البيهقى فى البعث ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يشتد كرب ذلك حتى يلجم الكافر العرق ، قيل له فأين المؤمنون ؟ قال : على كراسى من ذهب ، ويظلل عليهم الغمام »(١)

قال صاحب المقاصد « وهول تطاير الكتب قال تعالى « وأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا » وقال تعالى « وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامه كتابا يلقاه يلقا منشوا » وهول المسألة ، قال تعالى « وقفوهم إنهم مسئولون » وقال تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وهول شهادة الشهود العشرة : الألسنة والأيدى ، والأرجل ، والسمع ، والأنصار ، والجلود والأرض ، والليل والنهار والحفظة الكرام قال تعالى « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون »

وقال عليه الصلاة والسلام « مامن يوم وليلة يأتى على ابن آدم إلا قال : أنا ليل جديد ، وأنا فيما يعمل فى شهيد ، وكذا قال فى اليوم .

وقال تعالى : « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ، وهول تغير الألوان .

قال تعالى « يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » .

وقال تعالى : « وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة » .

وهول المناداة بالسعادة والشقاوة قال عليه الصلاة والسلام « يكون عند كفه الميزان ملك ، فإذا ترجح كفة الخير ، نادى الملك الأول : ألا إن فلانا سعد سعادة لا شقاوة بعدها أبداً ، وإذا ترجح الكفة الأخرى نادى الملك الثانى : ألا إن فلاناً شقى شقاوة لا سعادة بعدها أبداً .

---

(١) فتح البارى حـ ٢٤ صـ ٢٠٢

ثم قال : والحكمة فى هذه المحاسبة والأهوال مع أن الناقد بصير ، والمحاسب خبير ، ظهور مراتب أرباب الكمال ، وفضائح أصحاب النقصان على رءوس الأشهاد زيادة فى لذات هؤلاء ومسراتهم ، وآلام أولئك وأحزانهم .

ثم فى هذا ترغيب فى الحسنات ، وزجر عن السيئات ، وهل يظهر هذه الأهوال ، فى الأنبياء والأولياء والصلحاء والأتقياء ؟ فيه تردد والظاهر السلامة لقوله تعالى : « تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ، ولا تحزنوا .

وقوله تعالى « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١).

وروى البخارى ومسلم كثيراً من الأحاديث التى تبين فضل العابدين ، والمحسنين ، والمطيعين .

منها قوله عليه الصلاة والسلام « سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله .

إمام عادل ، وشاب نشأ فى عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق فأخفى ، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أخاف الله ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » .

وقال الحافظ ابن حجر « أخرج ابن المبارك فى الزهد وابن أبى شيبة فى المصنف واللفظ له بسند جيد عن سلمان قال : تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ، ثم تدنى من جماجم الناس حتى تكون قاب قوسين فيعرقون حتى يرشح العرق فى الأرض قامة ، ثم يرتفع حتى يغرغر الرجل ، زاد ابن المبارك فى روايته ، ولا يضر حرها يومئذ مؤمناً ولا مؤمنة .

---

(١) المقاصد للتفتازانى جـ ٢ صـ ٢٢٣

قال القرطبي المراد من يكون كامل الإيمان لما يدل عليه حديث المقداد وغيره أنهم يتعاونون فى ذلك بحسب أعمالهم .

وورد فى حق من يدخل النار من الموحدين فإن أحوالهم فى التعذيب تختلف بحسب أعمالهم ، وأما الكفار فإنهم فى الغمرات .

قال الشيخ محمد بن أبى جمرة : ظاهر الحديث تعميم الناس بذلك، ولكن دلت الأحاديث على أنه مخصوص بالبعض وهم الأكثر ، ويستثنى الأنبياء والشهداء ومن شاء الله ، فأشدهم فى العرق الكفار ، ثم من بعدهم أصحاب الكبائر ، ثم من بعدهم ، والمسلمون منهم قليل بالنسبة إلى الكفار ، كما تقدم فى حديث بعث النار .

ومن تأمل فى الآيات والأحاديث عرف عظم هول الموقف ، وذلك أن النار تحف بأرض الموقف، وتدنى الشمس من الرءوس قدر ميل ، فكيف تكون حرارة تلك الأرض وماذا يرويها من العرق ، مع أن كل واحد لا يجد إلا موضع قدمه ، فكيف تكون حالة هؤلاء فى عرقهم مع تنوعهم فيه ؟ إن هذا لما يبهر العقول ، ويدل على عظيم القدرة ، ويقتضى الإيمان بأمور الآخرة ، أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بعقل ولا قياس ولا عادة ، وإنما يؤخذ بالقبول . ويدخل تحت الإيمان بالغيب ، ومن توقف فى ذلك دل على خسرانه وحرمانه .

وفائدة الإخبار بذلك أن يتنبه السامع فيأخذ فى الأسباب التى تخلصه من تلك الأهوال ، ويبادر إلى التوبة من التبعات ، والله يوفقنا للخلاص من تلك الأهوال بتوفيقنا إلى الإيمان والإخلاص والعمل الصالح إنه سميع مجيب .